البناء الاستمولوجي لنظرية النظم من خلال تأصيلات المعتزلين الجاحظ و
القاضي عبد الجبار

*The epistemological construction of the Versification/Systems Theory
through the rooting of two Mu'tazilites: Al-Jahiz and Judge Abdul-Jabbar*

طالبة دكتوراه / مألله راضية
الأستاذ الدكتور: رشيد حليم

- كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف/الجزائر.
- مخبر التراث والدراسات اللسانية، جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف/الجزائر.

malekradia7@gmail.com

تاريخ القبول: 2021/03/15

تاريخ القبول: 2020/12/22

تاريخ الإيداع: 2020/10/04

ملخص:

كثيرة هي إنتاجات العقل العربي، وسبق هو في بناء معرفة لسانية متميزة، ومن سبقه صياغة نظرية النظم التي تعدّ حدثا لسانيا مهما. وقد أسهم بعض علماء العربية الأوائل في تنشئة هذه النظرية، إذ أقاموها على أفانين حضارة النص، حيث انبثقت مقوماتها العلمية من طبقات رسوبية مختلفة، فتدفقت مولودة لأكثر من أب. وكان فكر المعتزلين؛ الجاحظ والقاضي عبد الجبار مخصبا قويا في بلورة هذه النظرية. وهو ما تعنيه مقالتنا التحليلية الموازنة لأرائيهما في ما تلقاه الجرجاني عنهما. الكلمات المفتاحية: المعرفة اللسانية- النص- النظم- التحليل- الموازنة.

Abstract;

The Arab mind originated numerous productions, it pioneered to build a distinct linguistic knowledge, and it also initiated the formulation of the Systems Theory, which is considered as a significant linguistic event. Some early Arab scientists contributed to the foundation of this theory, as they based it on the achievements of the textual civilization, since its scientific foundations emerged from different sedimentary layers and flowed from more than one father.

The thoughts of two Mu'tazilites: Al-Jahiz and Al-Qadi Abdul-Jabbar were very productive in developing this theory. And it is what our analytical article stands for by comparing their views to what Al-Jarjani acquired from them.

Keywords: Linguistic knowledge - text-systems - analysis - comparison

مقدمة :

انشغل الفكر الاعترالي بموضوع النظم، إذ ربط بعض المعتزلة جانبا منه بجدلوية اللفظ والمعنى، وبمسألة الخطاب القرآني-وآلياته البلاغية و التركيبية، هذا الاعتقاد هو الذي حدد وجهة نظرهم ، فصاغوا بعض شروط النظم في صورة متوافقة مع هذا الأصل.

توزّع درس شيوخ المعتزلة في تناول هذا الغرض على بيئات معرفية متميزة انتخبنا منها بعض إنتاجات الجاحظ، ومجهودات القاضي عبد الجبار. هذه المقاربة رسمت إشكالية هذا العمل العلمي على الاستفهام عن جهود هذين العالمين، والتعرف على أرائهما، تحليلا و موازنة. فوزعنا البحث على تمفصلين اثنين:

- إرهاصات فكرة النظم عند الجاحظ.
- مؤشرات نظرية النظم عند القاضي عبد الجبار.

تنزع هذه المقالة إلى معرفة جهود هذين العالمين وما قدماه من تنظير مفاهيمي لموضوع النظم، وبيان موقف الجرجاني من أفكارهما.

1. إرهاصات فكرة النظم عند الجاحظ.

يعتبر الجاحظ[ت255هـ] أول من استعمل مصطلح النظم في كتابه نظم القرآن الذي لم يصل إلينا، حين حاول تحديد مفهوم إعجاز القرآن قائلا: "و لو أنّ رجلا قرأ على رجل من خطبائهم و بلغائهم سورة قصيرة أو طويلة، لتبين له في نظامها و مخرجها من لفظها و طابعها، أنّه عاجز عن مثلها".¹

انطلق الجاحظ في مسار بحثه عن النظم من النصّ القرآني ليس باعتباره بؤرة الإعجاز فقط و إنّما، باعتباره منتهى الغاية في النظم. فعمل على تأسيس مفاهيمه.

إن القرآن الكريم خطاب لساني عربي خلود ، فقد تفتّن الجاحظ إلى ما تقدّمه الصناعتان العربيتان –الشعر و النثر-من تشكيل تواصلية، يثبت تفوق إعجاز نظم القرآن عليهما، خاصة و أنّ القرآن و الشعر و النثر تربطهما لغة واحدة، و لكنّهم يختلفون نظاما و شكلا. وهو ما أكدّه قوله: "فرق بين نظم القرآن و تأليفه، فليس يعرف فروق النظم و اختلاف البحث و النثر إلا من عرف القصيد [...] فإذا عرف صنوف التأليف عرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام".²

و المثير للانتباه هنا، أن الجاحظ لا يتفق مع التعريف اللغوي للنظم الذي هو في اللغة "التأليف، وضم الشيء إلى شيء آخر، بل يتفق مع معناه المجازي قوله "و من المجاز نظم الكلام، وهذا نظم حسن، وانتظم كلامه وأمره."³

يقرّ الجاحظ أنّ النظم مخصوص بالنص القرآني المعجز، بينما تصدر مصطلح التأليف لغيره من منظوم الكلام ونثره.

تجلى للجاحظ بعد التمرس بالصناعة اللفظية التي رآها عماد التأليف الأسلوبية، الذي يكمن في جزالة الألفاظ و جودة السبك و حسن التركيب، و به يعرض المعنى في أروع تشكيل نظمي. و هو ما ترعاه قوله الشهيرة: المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي و العربي و البدوي و القروي و المدني، إنّما الشأن في تخير اللفظ و سهولة المخرج، و في صحة الطبع و جودة السبك.⁴

بهذه المقولة المميزة، حدّد الجاحظ مصطلحي النظم و التأليف، وأكد على أن النظم القرآني معجز في لفظه، فمتى كان اللفظ كريما في نفسه، متخييرا من جنسه، وكان سليما من الفضول، و بريئا من التعقيد حبب إلى النفوس و اتصل بالأذهان، و التحم بالعقول، و هشت إليه الأسماع، و ارتاحت إليه القلوب.⁵

1.1. أسبقية اللفظ في النظم.

أشار الجاحظ إلى مزية اللفظ في تشكيل الخطاب القرآني و في بناء نظمه، و أكد على القيمة التعبيرية له، مؤصلا للعلاقة التناسبية بين اختيار اللفظ القرآني و مواضع توظيفه، وهو ما تقتضيه عملية الإعجاز من جهة، و ما تتطلبه فكرة النظم من جهة ثانية .

سبق الجاحظ غيره في القول بقاعدة الاختيار للبنية الإفرادية المعجمية في التشكيل النصي، وهو ما يستجيب له اللفظ القرآني، إذ يتمتع بسمات دلالية و بيانية توفّر له القدرة على الإفهام و الإبانة، وهي من مقتضيات النظم.

و يؤكّد الجاحظ أن النظم مؤسس في مبدئه على العلاقة الترابطية بين انسجام استعمال اللفظ و الموقع المناسب للسياق، يقول: " قد يستخف الناس ألفاظا و يستعملونها، و غيرها أحق بذلك منها، و الجاري على أفواه العامة غير ذلك، لأن يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر، و أولى بالاستعمال"⁶

2.1. بنية النظم في كتابات الجاحظ.

حملت مؤلفات الجاحظ إشارات ناهية عن مؤشرات النظم في كتابيه البيان و التبیین، و الحيوان، لكتّه دلنا على كتاب آخر أكثر انجذابا إلى ما قصده في صناعة معرفة تعني بالنظم

، وكان النص القرآني دعامة الرئيس، فقد أشار إلى كتابه نظم القرآن الذي عرض فيه لبعض مسلمات بناء تلك النظرية التي تقوم على إدراك الفضل ما بين الإيجاز والحذف وبين الزوائد والفضول والاستعارات⁷.

و من صور مراعاة اللفظ القرآني لمقتضى الحال، و ملاءمة لأحوال المخاطبين أن يخاطب كل فريق من الناس بما يكون أوقع في نفسه، و أدخل في التأثير فيه. يقول: " رأينا الله تبارك و تعالی إذا خاطب العرب و الأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة و الوحي و الحذف، و إذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً، و زاد في الكلام"⁸ و هذا ما يقصد به في لسانيات النص بالسياق، إذ يعرفه هاليداي بأنه " النص الآخر المصاحب للنص الظاهر، و النص الآخر لا يشترط أن يكون قولياً، إذ يمثل البيئة الخارجية للبيئة اللغوية بأسرها، و هو بمثابة الحيز الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية."⁹

3.1. موقف الجرجاني من إشارات الجاحظ في تأسيس النظم.

شغف الجاحظ باللفظ و جودته و حسنه، و جزالته و فخامته و خفة و سهولة

حروفه و مخارجه. إلا أنه لم يهمل المعنى كما توهم بذلك بعض الباحثين.

تأثر الجرجاني [471هـ] بفكرة الجاحظ و بسط مفهومها أكثر، إذ رأى أن الكلام " ضريان: أحدهما تصل منه إلى الغرض بدلالة الألفاظ، و الآخر لا تصل إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، و لكن يدلك اللفظ بمعناه في اللغة، ثم تجد لهذا المعنى دلالة أخرى تصل بها إلى الغرض. و على هذا مدار " الكناية" و " الاستعارة" و " التمثيل"، فهذا هو " المعنى" و " معنى المعنى"¹⁰: أي أن لكل مخاطب ألفاظاً تناسب درجة تفكيره من حيث المعنى.

كما ترى، اشترط الجاحظ الاهتمام باللفظ و هو ركيزة النظم، و قد تصدى له

الجرجاني بردين متناقضين :

فالأول: فيه تفنيد عن مزية اللفظ على حساب المعنى، قائلاً: " كذلك محال إذا أردت

أن تعرف مكان الفضل و المزية في الكلام، أن تنظر في مجرد معناه."¹¹

الثاني: تأكيده على مزية اللفظ: وافق الجرجاني الجاحظ في مناصرته لللفظ في بناء المعاني، و صياغة النظم، و هو واضح في هذه المقولة: " فأعلمك أن فضل الشعر بلفظه لا بمعناه، وأنه إذا عدم الحسن في لفظه و نظمه، لم يستحق هذا الاسم بالحقيقة"¹².

و في موضع آخر، دافع الجرجاني عن رأي الجاحظ متهما بعض العلماء بسوء فهم كلامه و مقصده، حيث لم يدركوا مزية احتفاء الجاحظ باللفظ، فصوب رأيه قائلاً " فالعلماء لم يوجبوا للفظ ما أوجبوه من الفضيلة و هم يعنون نطق اللسان و أجراس الحروف، و لكن

جعلوه كالمواضعة في ما ينهم أن يقولوا: اللفظ، وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى، و الخاصة التي حدثت فيه، ويعنون الذي عناه الجاحظ¹³.

فالجاحظ بصمته واضحة في ما تلقفه الجرجاني، وما صنعه في تأسيسه لنظرية النظم، فقد تأثر بأرائه في الاعتداد بالصياغة اللفظية، و كانت جل أفكاره دائرة حول هذه الصياغة، ففي كتب الجرجاني مؤشرات واضحة لما صنعه الجاحظ، في هذا الغرض، ولكن تجلّت أصالة أفكار عبد القاهر بعد ذلك في ثورته على معاصريه ممن غلوا في نصرة اللفظ حتى غفلوا عن الغاية... وقد عزا الجاحظ الحسن للألفاظ، ولكن يفهم من كلامه في مواضع مختلفة أنه يقصد الصياغة و ملاءمة الألفاظ لتصوير المعنى ... وهذا معنى قريب كلّ القرب ممّا أرادَه عبد القاهر في نظرية المعنى¹⁴.

وصفوة القول: إنّه يكاد يجمع الدارسون على أن مفهوم النظم عند الجاحظ يكتنفه الغموض و الضبابية، لذا يرى أحمد درويش أن الجاحظ لم يقدم تفسيراً واضحاً لهذا المصطلح، و يستنتج من مذهبه في تقديم اللفظ على المعنى أن الجاحظ يستعمل مصطلح النظم بمعنى حسن اختيار الألفاظ المفردة اختياراً موسيقياً يقوم على بلاغة جرسها، و اختياراً معجمياً يقوم على ألفتها، و اختياراً إيجابياً يقوم على الظلال التي يمكن أن يتركها استعمال الكلمة في النفس، و كذلك حسن التناسق بين الكلمات المتجاورة تألفاً و تناسباً¹⁵.

وغير خفي أن أمر النظم وإن كان للمعاني أيضاً إلاّ أنّه في الحقيقة -بناء على مذهب الجاحظ- مرده إلى الألفاظ أولاً، لأنّ التّعويل عليها قائم، والشأن شأنها، لا شأن المعاني مادامت مطروحة في الطريق.

2. مؤشرات نظرية النظم عند القاضي عبد الجبار.

تبوأ القاضي عبد الجبار [415هـ] مكانة راقية بين علماء المعتزلة، فتساند إلى سلطان العقل للكشف عن أسرار النظم القرآني و مواطنه، فكانت النظرة العقلية البحتة لتفسير النص القرآني ديدنه، و منهج الاعتزال سبيله.

1.2. مزية الفصاحة في صناعة النظم.

اتخذ القاضي عبد الجبار اللّغة و البيان أدواته المعرفية للكشف عن أسرار الخطاب القرآني و تعضد بآليات التأويل للوصول إلى الإعجاز القرآني، و نظمه، و قد قاده اتجاهه العقلي إلى التأكيد على أن إعجاز القرآن إنما يتجلى في درجة فصاحته التي لم تجر على كلام العرب الفصحاء، يقول: " فالعرب لم يعارضوا القرآن، و لم يأتوا بمثله لتعذر ذلك عليهم، و إنّما تعذر لما يختص به القرآن من المزية في الفصاحة."¹⁶ فالفصاحة عنده تفاضل و درجات يرتقي بعضها

فوق بعض و القرآن أعلى درجة و أرقاها. و الفصاحة عنده لا تشترط جزالة اللفظ و حسن المعنى فقط كما ذهب إلى ذلك شيخه أبي علي الجبائي[303هـ]¹⁷ و إنما إضافة إلى ذلك يشترط إن يكون الكلام على نظم مخصوص، قال " اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، و إنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، و لا بد للضم أن يكون لكل كلمة صفة، و قد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، و قد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، و قد تكون بالموقع، و ليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع"¹⁸.

استقر رأي القاضي عبد الجبار على أن للفظ فاعلية مميزة في صناعة النظم، و موضوع اللفظ عنده مشمول بمقدرات الكلام الفصيح، إذ يعتقد أن الفصاحة إنما هي في جزالة اللفظ و حسن المعنى، و لا تظهر في أفراد الكلام فحسب و إنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصّصة و هو ما تلمسه في توضيحه: "إنما تتبين زيادة الفصاحة لا بتغير المواضعة، لكن بالوجوه التي ذكرناها..."¹⁹. و يؤكد في موضع آخر قائلا: "إنما تبينت زيادة الفصاحة لا بتغير المواضعة، و إنما المعتبر بمواقع الكلام و كيفية إرادته."²⁰

قرر القاضي عبد الجبار أنّ التفاضل إنما هو في نظم الألفاظ، و فصاحتها و أنّ المعاني لا تفاضل فيها، و هذا ممّا أشار إليه الجاحظ من قبل، و بهذا أعطى العالمان مفهوما للنظم يختص بالاتجاه الاعتزالي، يقوم على هذه التراتبية: اللفظ - الكلام - المعنى. فالنظم في الكلام عند القاضي قائم على ما يقدمه المتخاطب من فصيح الخطاب، و ما يسبكه من بليغ الكلام متجاوزا ملتحما بالروابط و معقودا بالمصفوفات الكلامية.²¹

في مساره التأسيسي للنظم، يستبعد القاضي عبد الجبار أبواب البلاغة خلافا لما ركّز عليه الجاحظ في تأشيريه على البنيات اللغوية للنظم و تشكيلاته الأسلوبية ممثلة في التكرار و أنواعه، و البلاغة و التطويل، و الإيجاز، و في تأثيرها على درجة الفصاحة لأنّه " لا معتبر في الفصاحة بقصر الكلام و طوله و بسطه و إيجازه لأنّ كلّ ضرب من ذلك ربما كان أدخل في الفصاحة في بعض المواضع من صاحبه." و هو بذلك يرد على الجاحظ، و موازنة للفكرتين، نشير إلى أن: النظم عند القاضي عبد الجبار قائم على ركيزتين:

- حسن انتقاء الألفاظ من حيث جزالتها و رصانتها. و هو موقف منسجم مع

ما ذكره الجاحظ.

- ضم تلك الكلمات مع مراعاة صفاتها من حيث المواضعة و التي يعني بها وضع الكلمة في اللغة و ليس المقصود بها المواضعة اللغوية، قاصدا وضع الألفاظ في التركيب، و هي

بهذا المعنى لا دخل لها بالفصاحة. إنما في مضامّة الألفاظ مع أخواتها على طريقة
مخصّصة.

فالقاضي عبد الجبار ينظر إلى الكلمة نظرتين باعتبارين مختلفين: نظرة في حال إفرادها، ونظرة
أخرى في حال نظمها مع غيرها من الكلام. وهي في الحالتين واقعة تحت ثلاثة أوجه.
أولاً: مفهومها في ذاتها، من حيث وضعها الذي لها عند أهلها (الدلالة الذاتية).
ثانياً: مفهومها حين تتداول عليها الحركات الإعرابية، فتكون فاعلاً أو مفعولاً إلى غير
ذلك من مواقع الكلمة في الإعراب (الدلالة الإعرابية).

ثالثاً: مفهومها حين تأخذ مكاناً خاصاً في التركيب، فتتقدم أو تتأخر. (دلالة السياق).²²
وهذه النظرية تقوم على أساسين: أولهما اختيار الألفاظ وانتقاؤها في صورتها الإفرادية. وثانيها
نظم تلك الألفاظ في صورة حسنة، مع مراعاة حسن الموقع وجمال الشكل؛ فتكون الكلمة
فصيحة "بملاءمتها لجارتها، وتعلقها بأخواتها، وارتباطها بالبناء اللغوي، ووقوعها في الموقع اللائق
بها، بحيث يحدث ارتباطها بجارتها، وتعلقها بالنظم، صورة تؤدي دوراً يضيء على المعنى جمالاً
ورونقاً، ويمكنه في نفس المتلقي".²³

وقد صرح القاضي عبد الجبار أن المعاني لا تظهر فيها مزية الفصاحة، لذلك أشار إلى
أن المعاني وإن كان لا بد منها فلا تظهر فيها المزية. وإن كانت تظهر في الكلام لأجلها. فالمزية تظهر
بغيره.²⁴

فالقاضي عبد الجبار لا يقصي المعنى، إلا أنه لا يدخله في مجال المزية التي يكون بها
الكلام فصيحاً. فالذي تظهر به المزية ليس إلا «الإبدال الذي تختص به الكلمات، أو التقدم أو
التأخر الذي يختص بالموقع، أو الحركات التي تختص بالإعراب، فبذلك تقع المباينة. ولا بد في
الكلامين اللذين أحدهما أفصح من الآخر أن يكون إنما زاد عليه بكل ذلك أو ببعضه».²⁵
وبهذا؛ يكون عبد القاهر الجرجاني قد فهم مقررات نظرية النظم بإشارات القاضي، بتأكيد أنه
التفاضل إنما هو في نظم الألفاظ وضمها على طريقة مخصّصة، وأن المعاني لا تفاضل فيها.
ويكون بذلك قد أوماً للمفهوم الاعتزالي في نظرية النظم، مؤكداً قول الجاحظ: «المعاني مطروحة
على الطريق». لكن من المأخذ عليه أن القاضي غلب عليه المنهج الكلامي في الاحتجاج لنظم
القرآن وفصاحته، وصلاحيته لأن يتحدى به ويكون دلالة على النبوة. ولذلك وقف بالقضية
عند حدود التفكير النظري المجرد، ولم يتجاوزها للبرهنة النصية التي من شأنها أن تجلي معالم
هذا الإعجاز وتكشف عن دلالته.²⁶

2.2. تلقي الجرجاني لرأي لقاضي عبد الجبار.

تلقي عبد القاهر الجرجاني إشارات قاضي عبد الجبار في تأصيله لنظرية النظم، لكنّه ردّ كثيرا من كلامه من مثل ما ذكر أن المعاني لا يقع فيها تزايد، وإتّما التزايد عند الألفاظ، التي يعبر بها عنها²⁷، فردّ عليه بقوله: "فإن قيل: فماذا دعا القدماء إلى أن قسّموا الفضيلة بين المعنى واللفظ، فقالوا: معنى لطيف، ولفظ شريف، وفخموا شأن اللفظ وعظّموه حتى تبعهم في ذلك من بعدهم، وحتى قال أهل النظر: "إن المعاني لا تزايد، وإنما تزايد الألفاظ"، فأطلقوا كما ترى كلاماً يُوهم كل من يسمعه أن المزية في حقّ اللفظ"²⁸.

وقال في موضع آخر: "ومما تجدهم يعتمدونه ويرجعون إليه قولهم: "إن المعاني لا تزايد، وإتّما تزايد الألفاظ"، وهذا كلامٌ إذا تأمّلتّه لم تجد له معنى يصحّ عليه، غير أن تجعل "تزايد الألفاظ" عبارة عن المزايا التي تحدث من توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم؛ لأنّ التزايد في الألفاظ من حيث هي ألفاظٌ ونطقٌ لسان، محال"²⁹.

ولم يقف الجرجاني عند هذا الحدّ في معارضته للقاضي عبد الجبار، بل كال له سيلا آخر من النقد، فوصفه بأنّه رجل قد أنسّ بالتقليد، فهو يدعو الشبهة إلى نفسه ومَن كان هذا سبيله، فليس له دواء سوى السكوت عنه، وتركه وما يختاره لنفسه من سوء النظر، وقلة التدبر.³⁰ وهذا كلام لا يليق بعالم من مثل القاضي الذي يتمتع بمقام مفسر كبير، وغمط مقصود لعمله في وضع لبنات في ما نسبه الجرجاني لنفسه من صناعة التعليق والنظم.

وتابع الجرجاني ما أشار إليه عبد الجبار بالتعريض بقوله: "و أمّا نظم الكلام، فالأمر ليس فيه كذلك، لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم تغير فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء، إلى الشيء كيف جاء و اتفقا."³¹ وهذا تحامل صريح من الجرجاني على القاضي لأنّه لم يقرّ بأن الضمّ يكون كيف جاء، بل قال على طريقة مخصوصة، ولم يقرّ بفضله عليه. وهذا ما ذهب إليه شوقي ضيف، إذ يرى أن الجرجاني "قد مضى منذ هذا الوضع من كتابه، يحمل عليه حملات مختلفة دون أن يقرّ له بالفضل والسبق، وكان يكفيه أن يدع له أصل النظرية و يحوز فضيلة تفسيرها تفسيراً دقيقاً، بحيث أصبح فعلاً صاحبها الذي صورها و طبقها و استخرج على أساسها علم المعاني المعروف بين علوم البلاغة العربية."³² ومنه؛ فشوقي يرى أن جهود القاضي في بناء نظرية النظم قد هضمت، ولم تحسب له جهوده في هذا المجال. فالآراء تضاربت و اختلفت حول جهود النظم بين القاضي والجرجاني.

خلاصة هذه المتابعة العلمية تبرز في الاعتراف بأن الدرس اللغوي العربي القديم إنما طوعه علم الكلام العربي، و صقلته التيارات الفكرية ولا تخلو نظرية النظم من هذه المسحة المعرفية التي أنتجها العقل الاعتزالي في أزهى عصوره. مع اعتراف صريح بمكانة الجاحظ والقاضي في تأسيسه لموضوع النظم، وإن غمطت جهودهما بسبب رفعهما للواء الفكر الاعتزالي الذي عارضه كثيرون منهم الجرجاني.

3. الخاتمة.

قامت مقالتنا على موضوع النظم الذي خاض فيه كثيرون، إلا أن تحليلنا كان مركزا على مدى مساهمة الجاحظ والقاضي عبد الجبار في تأسيس نظرية النظم، و خلصت إلى مجموعة من النتائج، لعل أهمها، التأكيد على أن حفريات هذه المعرفة موعلة في مقولات المعتزلة، خاصة الجاحظ والقاضي، وأن الجرجاني قد تلقف تلك الأعمال البحثية الأصيلة، عرف فضل بعضها، و غمط جهود بعضها بتعلة غير علمية. و هو ما يدفعنا إلى التشكيك في أصالة نسب تلك النظرية إلى شخصه دون غيره. و هو باب نفتحه لإعادة قراءة هذه النظرية دون نزوع انطباعي.

أما بقية النتائج، فيمكن تلخيصها في الإشارة إلى دور اللفظ، من حيث قيمته الدلالية، في التأسيس لفكرة النظم، وهو المنحى الذي عنيت به الأسلوبية، والجانب التركيبي للغة، من خلال دراسة علاقة الكلمة بأختها، ثم بالنص ككل. و هو ما لمحّه القاضي عبد الجبار في مقولاته عن نظم القرآن وإعجازه. وهذا ما نهت عليه الدراسات النصية الحديثة. توصل بحثنا إلى أن نظرية النظم هي تراث علمي عربي جماعي، كان للمعتزلة السبق في تحريك الفكر اللغوي فيه و تنشيطه من خلال الائتلاف و الاختلاف مع غيره، وأن مساهمة الجرجاني فيها مساهمة واضح الأبواب و أفعالها في بناء تم الانتهاء من إنجازها، صنيع تشومسكي مع ما انتهى إليه أصحاب مدرسة بول رويال الشهيرة.

هوامش البحث.

¹ الجاحظ، رسائل الجاحظ، تح. عبد السلام هارون، دار الجيل، (لبنان)، دط، 1969، ج3، ص229.

² المرجع نفسه، ص14.

³ الزمخشري، أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، (لبنان)، ط1، 1998، ج2، ص170.

- ⁴ الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام هارون، منشورات مصطفى بابي الحلبي، (لبنان)، ط2، 1969، ج3، ص131-132.
- ⁵ الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون. دار الكتب العلمية، (لبنان)، ج2، ص8.
- ⁶ المرجع نفسه، ج1، ص20.
- ⁷ الجاحظ، الحيوان، ج3، ص86.
- ⁸ الجاحظ، الحيوان، ج1، ص94.
- ⁹ يوسف نور عوض، علم النص ونظريته للترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، (مكة المكرمة)، 1410هـ، ص29.
- ¹⁰ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر، (دمشق)، ط1، 2007، ص262.
- ¹¹ المرجع نفسه، ص 255-256
- ¹² المرجع نفسه، ص 255-256
- ¹³ المرجع نفسه، ص426
- ¹⁴ هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، مطبعة الاستقلال الكبرى، 1969، ص381-387.
- ¹⁵ أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب، (مصر)، دت، ص91.
- ¹⁶ القاضي عبد الجبار (أبو الحسن عبد الجبار الأسد الأبادي)، المغني في التوحيد والعدل، دار الكتب العلمية، (لبنان)، ج16، ص214.
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص197
- ¹⁸ المرجع نفسه، ص198
- ¹⁹ المرجع نفسه، ص201
- ²⁰ منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منشأة المعارف، (الإسكندرية)، ط3، 1986، ص95.
- ²¹ القاضي عبد الجبار، المرجع السابق، ج7، ص8-9.
- ²² عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، (لبنان)، دط، دت، ص471.
- ²³ وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، دار الثقافة، (قطر)، 1985، ص118.
- ²⁴ القاضي، عبد الجبار، المرجع السابق، ج16، ص199.
- ²⁵ المرجع نفسه، ص200
- ²⁶ قصاب، وليد، المرجع السابق، ص122
- ²⁷ القاضي، عبد الجبار، المرجع السابق، ج16، ص199.
- ²⁸ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص63.
- ²⁹ المرجع نفسه، ص395.
- ³⁰ المرجع نفسه، ص63-64
- ³¹ المرجع نفسه، ص176.

³² شوقي ضيف، البلاغة تاريخ وتطور، دار المعارف، (الإسكندرية)، دت، ص118.

المصادر والمراجع.

- 01- الجاحظ(إو عثمان بن بحر)، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، (لبنان)، ج2. ص8.
- الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، منشورات مصطفى باي الحلبي، (بيروت)، ط2، 1969، ج3، ص131-132.
- 02- الجاحظ، رسائل الجاحظ، نج، عبد السلام هارون، دار الجيل، (بيروت)، دط، 1969، ج3، ص229.
- 03- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، نج محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر، (دمشق)، ط2007، 1، ص262.
- 04- درويش، أحمد، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب، (مصر)، دت، ص91.
- الزمخشري، أساس البلاغة، نج محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، (لبنان)، ط1، 1998، ج2، ص170.
- 05- شوقي ضيف، البلاغة تاريخ وتطور، دار المعارف، (الإسكندرية)، (دت)، ص118.
- 06- عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، (لبنان)، دط، دت، ص471.
- 07- القاضي عبد الجبار، المغني في التوحيد والعدل، ج16، دار الكتب العلمية، (لبنان)، ج16، ص214.
- 08- منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منشأة المعارف، (الإسكندرية)، ط3، 1986.
- 09- هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، مطبعة الاستقلال الكبرى، 1969.
- 10- وليد قصّاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، دار الثقافة، (قطر)، 1985.
- 11- يوسف نور عوض، علم النص ونظرته للترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، (مكة المكرمة)، 1410هـ.